

المخلوق جاء في القرآن: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ... إِذْ عَلَّمْتُكَ الْمِكْتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي سُوْرَةُ الْمَائِدَةِ 5: 110.

قال ابن العربي في تفسير هذه الآية: لقد خصَّ الله عيسى بكونه روحاً، وأضاف النفخ في خلقه من الطين. ولم يضاف نفخاً في إعطاء الحياة لغير عيسى، بل لنفسه تعالى.

2 المنطق عند الولادة حين ولدت مريم ابنها، تناولها أبناء قومها بالمتأنيب، ظناً بأنّها حملت بابنها سفاحاً. فأشارت إليّ قالوا كيْفَ نَكَلِمُ مَنْ لَنَا فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ أَتَانِي الْمَكْتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا سُوْرَةُ مَرْيَمَ 19: 29، 30.

قال ثقات العلماء إنّ قوم مريم لمّا بالغوا في توبيخها سكتت وأشارت إلى وليدها، كأنّها تقول لهم: هو الذي يجيبكم.

وقال السديّ: لمّا أشارت إليه غضبوا غضباً شديداً. وقالوا: إنّ لسخريتها بنا أشدّ من زناها. وفي رواية أخرى أنّ عيسى كان يرضع، فلمّا سمع ذلك ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه، واتكأ على يساره وأشار بسبابته وكلّ مهم.

هناك رواية أخرى نقلها الرازي: إنّ زكريّا أتاه عند مناظرة اليهود إيّاها، فقال لعيسى انطق بحجّتك إن كنت أمرت بها، فقال عيسى: إنّني عبد الله أتاني الحكمة وجعلني نبيّاً.

3 إحياء الموتى وإبراء الأكمه والابصر يقول القرآن بلسان المسيح: أُبْرِئِ الْمَأْكُمَ وَالْمَأْبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ سُوْرَةُ آلِ عِمْرَانَ 3: 49.

من المعروف أنّ الأكمه هو من وُلِدَ أعمى. والبرص هو المرض الخطير المعروف، والمرضان من الأدواء التي يتعدّر شفاؤهما على البشر. وقد ذكر المثنى عن ابن إسحاق عن حفص بن عمر، عن عكرمة، قال: إنّ ما أخبر الله عزّ وجلّ عن عيسى أنّه يقول ذلك لبني إسرائيل احتجاجاً منه بهذه العبر والآيات عليهم في نبوته. وذلك أنّ الأكمه والبرص لا علاج لهما، فكان ذلك من أدلّته على صدق قلبه.

وأحيى الموتى. قال وهب بن منبّه، بينما كان عيسى يلعب مع الصبيان، إذ وثب غلام على صبيّ فوكزه برجله فقتله، فألقاه بين يدي عيسى وهو ملطّخ بالدم. فأطلع الناس عليه، فاتهموه به. فأخذوه وانطلقوا به إلى قاضي مصر، فقالوا: هذا قتل. فسأله القاضي، فقال عيسى: لا أدري من قتله، وما أنا بصاحبه. فأرادوا أن يبطشوا بعيسى، فقال لهم: أتتوني بالغلام. فقالوا: ماذا تريد؟ قال: أسأله من قتله؟ فقالوا: كيف يكلّك وهو ميت؟ فأخذوه، وأتوا به إلى الغلام القتيل. فأقبل عيسى على المدعاء، فأحياه الله.

عن وهب أيضاً قوله: إنّّه ربّما اجتمع على عيسى من المرضى، في الساعة الواحدة خمسون ألفاً. من أطاق منهم أن يبيلّغه بلّغه، ومَن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشي إليه، وإن ما كان يداويهم بالمدعاء.

وعن الكلبيّ، أنّّه قال: كان عيسى عليه السلام يحيى الموتى بياحيّ يا قيوم. وأحيا عاذر يقصد لعازر وكان صديقاً له. ودعا سام بن نوح من قبره فخرج حيّاً. ومر على ابن ميت لعجوز فدعا الله فنزل عن سريرته، ورجع إلى أهله ووُلِدَ له.

4 العلم بالغيب. قال القرآن بلسان المسيح: وَأَنْبِئْ كُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ سُوْرَةُ آلِ عِمْرَانَ 3: 49.

هنا يجد العلماء مسألتين:

المسألة الأولى: أنّّه كان منذ أوّل أمره يخبر بالغيوب. فقد روى السديّ: إنّّه كان يلعب مع الصبيان، ثمّ يخبرهم بأفعال آبائهم وأمهاتهم. وكان يخبر الصبيّ: إنّ أمك قد خبأت لك كذا. فيرجع الصبيّ إلى أهله ويبيكي، إلى أن يأخذ ذلك الشيء. ثمّ قالوا لصبيانهم: لا تلعبوا مع هذا الساحر. وجمعوهم في بيت. فجاء عيسى يطلبهم، فقالوا له: ليسوا في البيت. فقال: فمن في هذا البيت؟ قالوا: خنازير. قال عيسى: كذلك يكونون، فإذا هم خنازير.

المسألة الثانية: الإخبار عن الغيوب على هذا الوجه معجزة. فالمنجّون الذين يدعون استخراج المخبر لما يمكنهم ذلك إما عن سؤال. ثم يعترفون بأنهم يغلطون كثيراً. أمّا الإخبار عن الغيب، من غير استعانتة بآلته، ولما تقدم فيه مسألة، لا يكون إلا بالوحي.

5 إنزال المائدة من السماء، يقول القرآن: إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ سَتِطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مَوَدِّعِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ إِلَّا شِطَانٌ مُّبِينٌ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ سورة المائدة 5: 112-114.

اختلف الأئمة في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها. فروى قتادة عن جابر، عن ياسر بن عمّار عن محمد أنه قال: أنزلت المائدة عليها خبز ولحم. وذلك أنهم سألوا عيسى طعاماً يأكلون منه، ولما ينضد. فقال لهم: إنّي فاعل ذلك، وإنها مقيمة لكم، ما لم تخبثوا أو تخونوا. فإن فعلتم ذلك عذبتكم. فما مضى يومهم حتى خانوا وخبثوا، فرفعت ومسّ خوا قرده وخنازير.

وقال ابن عباس: قال عيسى لبني إسرائيل: صوموا ثلاثين يوماً، ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه. فصاموا ثلاثين يوماً، فلمّا فرغوا، قالوا: يا عيسى إنّا صمنا فجعلنا، فادع الله أن ينزل مائدة من السماء. فلبس عيسى المسوح، وافترش الرماد. ثم دعا الله، فأقبلت الملائكة بمائدة يحملون عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات، ووضعها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس، كما أكل أولهم.